الإخلاص

أهمُّ شرط لنجاح الدعوة الإخلاصُ ؛ وتجريدُ القلب من الأغراض الدنيوية والأهواء الشخصية ، فإن كثيرًا من هذه الأغراض أو من هذه الأهواء تتسلل خُفْيةً دون أن يحسَّ بها المُبْتَلَى بها في كثير من الأحيان ، وحينئذ يصدق عليه قولُ القائل :

إنْ كنْتَ لا تدرِي فتلك مصيبةٌ أو كنْتَ تدري فالمصيبة أعظمُ

ومن أبرز هذه الأهواء الخفية حبُّ الثناء والمدح ، فما من أحد إلا وهو يحب أن يُثنِي عليه الناسُ ويمدحوه ؛ هذه طبيعةٌ بشرية ، ولذلك لما نزل قوله تعالى : ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ١٨٨]

قال ثابت بن قيس الأنصاري رضي الله عنه : « يا رسول الله لقد خشيتُ أن أكونَ هلكتُ . قال : «**وَلِمَ؟** » قال : نهى الله المرءَ أن يحبَّ أن يُحْمَدَ بما لم يفعل وأَجِدُنِي أُحِبُّ الحَمْدَ ، ونَهَى الله عن الخيلاء وأَجِدُنِي أُحِبُّ الجمالَ ، ونَهَى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا امرؤٌ جَهِيرُ الصوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أما ترضى أن تعيش حميدًا وتُقْتَلَ شهيدًا وتدخلَ الجنة** » فقال : بلى يا رسول الله . فعاش حميدًا وقُتِلَ شهيدًا يومَ مسيلمة الكذاب » .

فهذا القَدْرُ هو من الطبيعة البشرية السوية وهو أن يحب أن يَحْمَدَهُ الناسُ ويكره أن يَذُمُّوه ، لكنه إذا تمادى في الانسياق وراءَ ذلك فصار

يحب أن يُحْمَدَ بما لم يفعل ، أي أن ينتحل عَمَلَ غيره ، أو أن يبالغ الناسُ في مدحه بما ليس فيه فعندئذ دخل في حدود المحرمات ، ووقع فريسة الآفات المهلكات ، التي تُحْبِطُ العملَ ، وتُفْشِلُ الدعوةَ ، ولعل هذا من أسباب عدم التأثير ، فما أكثر الذين يتحركون ولكن ليس في حركتهم بركة ، وما أكثر الذين يثرثرون ولكن ليس لكلامهم طعم ..

سمع الحسنُ البصري خطيبًا فلما انتهى قال له : يا هذا أَقَلْبُكَ المريضُ أمْ قلبِي فإنِّي لم أَذُقْ لكلامك طعمًا .